عقيل بن عبدالله الحبابي وتجربة مع المرض والعلاج وفرصة جديدة للحياة

وسوف نستعرض ثلاث محطات من حياة (بومسلم) وتجربته:

- تعليمه, وحياته المهنية
- الأزمة ... وظروف مرضه
- الفرصة الثاني ... حياته ما بعد تلك التجربة

المحطة الأولى: نشأته وتعليمه وحياته المهنية

الأخ عقيل الحبابي (أبو مسلم), من مواليد العمران الشمالية عام 1384 هـ, تربى في بيت كريم. فوالده الحاج عبدالله بن علي الحبابي, من رواد موظفي شركة أرامكو في بلدة العمران, ملم بتاريخ البلد ورجالاتها, محبوب ومقدر في مجتمعه. وصفه السيد محمد حسن بن السيد محمد الحداد, بقوله : "الحاج المرحوم عبدالله بن علي الحبابي طيب القلب, يحترم الصغير والكبير, ويحتفظ بعلاقات صداقة مع أبنائه. ويساهم في أعمال الخير, مرح وله أسلوب مميز في سرد القصص ويمزج عباراته بكلمات أجنبية ملتزم بمواعيد وجباته, كما كان أيام عمله في أرامكو, ولذلك لا يكثر من حضور الدعوات التي توجه إليه لهذا السبب."

أما (أبو مسلم) تعلم في مدارس العمران. فالمرحلة الإبتدائية كانت في مدرسة المنذر بن ساوى. ومن معلميها المتميزين في ذلك الزمان: الأستاذ عبدالله الحدب (الهفوف), والأستاذ راشد العويد (الكلابية), والأستاذ محمد الراشد (العمران), والأستاذ صالح الحمد (الهفوف). وبعد نجاحه من المرحلة المتوسطة, التحق بالشركة الوطنية للأنابيب بالدمام. وهناك تلقى دورة تدريبية على العمل, وكان ضمن أفضل ثلاثة أنهوا تلك الدورة, وحصل كل واحد منهم على مكافئة تشجيعية مقدارها أربعة وعشرون ألف ريال. وإحدى ثمار تلك الفترة, تعلمه للغة الإنجليزية.

وبعد سنتين من العمل مع الشركة الوطنية للأنابيب, وجد أن هذا المجال لا يرضي طموحه وقدراته, وصادف

أن عرض عليه الحاج علي بن عبدا الحبابي أن يستلم إدارة (ورشة الحبابي بالعمران) لإصلاح السيارات براتب شهري 1500 ريال. فقبل بهذا العرض, وبدأ فصلا جديداً في حياتيه المهنية. ساعده في هذه العمل, أنه اجتماعي ومثابر, ولديه مستوى عال من الفضول. فنجح في هذه المهمة, وعرف على مستوى المجتمع. وفي تلك الفترة, طرحت فكرة فتح استديوا للتصوير في بلدة الطرف, شراكة بينه وبين الحاج علي بن عبدا الحبابي, وتم تنفيذ هذا المشروع, ولاقى هذا نجاحا كبيراً.

يقول أ بو مسلم عن تلك التجربة" كان لابن العم الفاضل الحاج علي بن عبدا الحبابي دورٌ كبير في دفعي نحو التعلم, وأعطاني ثقته ودعمه. أذكر أنني عرضت عليه أن أكمل تعليمي الثانوي, فكان المشجع الرئيس والداعم لهذا الرغبة, فجزاه ا كل خير".

التحق الأخ عقيل الحبابي بالثانوية التجارية بالهفوف في عام 1990 م, وفي تلك الفترة اتفق أبومسلم مع شريكه الحاج علي الحبابي على أن يتنازل عن نصيبه من الاستديوا لقاء تعويض اتفقا عليه, واشترى أبومسلم (ورشة الحبابي) لإصلاح السيارات. في الوقت الذي يتابع فيه دراسته الثانوية.

وبعد التخرج من الثانوية التجارية, قصد مدينة الدمام باحثا عن عمل, فقدم أوراقه لعدة جهات, منها البنك الأهلي التجاري. وعن هذه الوظيفة يقول أبو مسلم:

"وكان من المصادفات الجميلة, أن التقيت بالبنك الأهلي التجاري بالدمام بالأخ علي العبد المحسن العبدا, والذي استلم أوراقي وقام بتقديمها للبنك نيابة عني. وبعد أيام تلقيت اتصالا منهم بموعد لاختبار القبول والمقابلة الشخصية, والتي اجتزتها بحمد ا, مع أن المتقدمين لهذا العرض يقارب ألف متقدم, والمطلوب في حدود مائة وأربعين موظفا فقط".

حضر دورة تحضيرية للعمل في معهد البنك الأهلي المصرفي لمدة ستة أشهر, وكان ترتيبه الأول على دفعته, وكمكافئة له على هذا التفوق, تركوا له أن يختار المنطقة والقسم الذي يرغب بالعمل لدى البنك. فاختار منطقة الأحساء. وأول وظيفة له كانت في االهفوف, ثم نقل لفرع الحليلة, وبعد سنة حصل على ترقية, ونقل لمدينة الدمام في مركز الدانة, وذلك بقسم مراقبة الفروع لعموم المنطقة الشرقية.

عن تلك الفترة يقول أبو مسلم:

وبعد أربع سنوات من العمل بقسم مراقبة الفروع لعموم المنطقة الشرقية بالدمام, رشحني الأستاذ معن بن رضي الزاير للعمل في Group Banking Coorporate بالخبر وهو قسم خاص بمعاملات الشركات الكبرى المالية. ويعتبر أهم قسم في البنك على الإطلاق. حيث تجري فيه معاملات للمؤسسات المالية الكبرى بالمملكة مثل أرامكو وسابك وسكيكوا وقطاع الدولة. وكنت الموظف الوحيد المناط به القيام بالأعمال البنكية لشركة أرامكو, ونقطة التواصل اليومي معها. وهي أفضل وظيفة شغلتها على الإطلاق, كان فيها مجال كبير للتعلم ومواجهة تحديات العمل, والتطوير الذاتي. واحمل للأستاذ معن الزاير الكثير من التقدير والاحترام, لدعمه وثقته". وفي العام 2005 وبعد تطبيق نظام (SAP) بشركة أرامكو تقلص دور ذلك القسم, ونقلت مرة أخرى لمدينة الدمام بقسم العمليات المصرفية. وهذه آخر وظيفة شغلتها في البنك.

المحطة الثانية: الأزمة الصحية – سنة الامتحان

عُرفَ عن الأخ عقيل الحبابي حبه لعمله, ملتزم بأوقات العمل, قدم الكثير من الأفكار والاقتراحات لتطوير العمل, وحصل على خطابات شكر ودروع تكريم, ومكافآت مادية خلال سنوات خدمته في البنك الأهلي التجاري. وفي أثناء عمله, أكمل تعليمه الجامعي, حتى حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة دلمون بالبحرين. ولكن يوم الأحد الموافق 28/4/2007 م, كان من الأيام المفصلية في حياته.

عن ذلك اليوم يقول أبو مسلم:

"تناولت إفطار الصباح مع أسرتي كالعادة, وأوصلت أولادي للمدرسة, ثم توجهت لعملي بمركز الدانة. وكانت الأمور عادية, أتذكر انه طلب مني أحد مندوبي الشركات الكبرى كشفا لحساب شركتهم. فبدأت بإدخال رقم الحساب في الجهاز, ولكن أحسست بثقل لساني على غير العادة. فقلت لزميل يعمل بالقرب مني: أشعر أنني غير طبيعي ولساني ثقيل. وكان هذا الموظف هو عبدالله الغامدي, وهو شاب ذكي وحسن التصرف.

فقال لي: لا تخف نحن بجانبك, وقام بالاتصال بالهلال الأحمر في الحال. كنت أرى وأسمع ما يدور حولي. وأخذني الغامدي (جزاه الله خيرا) حتى الدور الأرضي, وبعد عشر دقائق, وصلت سيارة الإسعاف, وأركبني المسعفون في السيارة. أتذكر أن الأخ عبدالله بن أحمد الغامدي قال لهم عليكم أخذه لمستشفى المانع, حيث للبنك تأمين طبي هناك. سألني المسعف عن اسمي, وأجبته عقيل. بعدها فقدت الوعي كليا."

بقي أبومسلم في غيبوبة تامة اثنى عشر يوما, تم خلالها إجراء عملية حساسة له في الرأس, على يد الدكتور العرجاوي, حيث كان يعاني من نزيف شرياني في الرأس. وفي أحد الأيام, وبينما أبواه في زيارة له, يرافقهما أخوه وزوجته وأبناؤه, فتح أبو مسلم عينيه ونظر إليهم. لقد استعاد وعيه, وفرح الأهل لهذا التحسن. ولكنها فرحة لم تدم طويلا. فقد أصيب أبو مسلم جراء هذا النزيف بشلل نصفي ويشمل ذلك ثقل في اللسان. فكان لا يستطيع الوقوف, أو المشي, أو التحدث. وهو الشاب الذي لم يتجاوز عمره الخامسة والأربعين. كان الجو كئيبا, والجميع يبكي بصمت حفاظا على الوضع النفسي للمريض.

وبعد شهر من دخوله للمستشفى, رجع لبيته على كرسي متحرك كسير القلب, تتخطفه الأفكار والهواجس. يفكر في عائلته, وأهله, ومستقبله وحياته. وبينما هو في المستشفى, كان والده وأخوته يعدون لخطة علاجية, وذلك لتأهيله بدنيا ونفسيا. فحجز له للعلاج بدولة التشيك. وذلك بدعم من إدارة البنك الأهلي. فسافر يرافقه أخوه جعفر وزوجته أم مسلم.

يقول أبو مسلم :

"وأصرت زوجتي (أم مسلم) على السفر معي, مع أن لديها طفلة في سن الرضاعة, ولم يكن الوالد موافقا, ولكنه احترم رغبتها, وتوقع (رحمه ا) أن وجودها معي, قد يساعد في فاعلية العلاج".

وبعد مضي شهر ونصف على العلاج الطبيعي, والتمارين, وحقن غازية لتنشيط الأعصاب في التشيك, بدأ أبومسلم الوقوف على رجليه مستخدما العصا, والمشي لخطوات, وهو تقدم ملموس. عندها ارتفعت معنوياته, وتحسنت نفسيته. يقول

" والأهم... اقتنعت بأن أرضى بما كتبه ا لي, وأن المؤمن مبتلى, ويقول لقد شاهدت في التشيك حالات شديدة لشباب في مقتبل العمر, وهم في حالات أشد. فحمدت ا وشكرته. وبعد مضي الشهر والنصف, رجع الأخ جعفر إلى البلد, وجاء ليرافقني أخي حسين".

ويتذكر أبو مسلم, يوم مغادرته لبلده العمران, وهو في طريقه للتشيك, وهو محطم النفس, يبكي ليس من ألم بجسمه, ولكن على ما آلت إليه حالته ووضعه الصحي والحياتي. يقول أبو مسلم:

"جاء أحد طلاب العلم من أهل البلد للسلام علي, وقال لي:

ارفع نظرك للسماء, وادعوا ا, واندب (أم البنين). والحقيقة لقد رأيت العجائب من أثار الدعاء والتوسل بهذه المرأة الصالحة. فجزاه ا كل خير على نصحه وتوجيهه"

نعود لمرحلة العلاج في التشيك, والتي استمرت لحوالي ثلاثة أشهر. بعدها عاد لأهله. ولكن ليس على كرسي متحرك, وإنما يمشي على رجليه. يقول أبومسلم, عن لحظات وصوله لبيتهم في العمران:

"عندما وصلت السيارة لقرب البيت, كانت والدتي تقف على عتبة الدار, وحالما نزلت من السيارة, أقبلت أمي, وهوت على يدي تريد تقبيلها, احتضنتني, فبكينا وأبكينا الجميع من الفرح. لن أنسى ما حييت ذلك اليوم وتلك اللحظة, وذلك النهر من الحنان والحب الفطري. فلك يا أمي دعائي بالصحة والعافية وراحة البال."

المحطة الثالثة: فرصة أخرى للحياة

تجربة أبي مسلم مع المرض والإعاقة والعلاج , توصلنا إلى نتيجة أن ا سبحانه وتعالى قد أعطى هذا الرجل فرصة أخرى للحياة. لقد صقلته هذه الأزمة وفتحت عينيه على جوانب عدة من الحياة.

وسألته ماذا استفدت من هذه التجربة, يقول:

- أصبحت أكثر قربا من ا, ملتزما بأوقات الصلاة

- آمنت أن (الدعاء سلاح المؤمن), فأنا أقول لمن لديه مشكلة أو مرض, اطرق باب رب العالمين, وتحين أوقات الدعاء, و واصل الدعاء والتوسل وسوف يفتح رب العالمين لك أبواب الفرج.

- رسالتي لإخواني وأبنائي وأصدقائي أقول لهم: رأيت في التشيك المئات من حالات لشباب في مقتبل العمر, وهم معاقون, جراء حوادث السيارات, فرسالتي للجميع: تمهل, إنها دقائق.

وبعد أن من ا على أبي مسلم بالشفاء, واسترجع صحته بنسبة 85 % وتقاعد عن العمل, لم يركن للدعة والفراغ, بل أصبح ناشطا اجتماعيا وعمل مع جمعية العمران الخيرية, وخصوصا بمركز التدخل المبكر للإعاقة. وقدم ولا يزال يتابع بعض المطالب لصالح بلدته, منها التواصل مع البلدية بتزويد المقبرة

بالعمالة اللازمة, مثل حفر القبور للموتى والتغسيل. كذلك له مساع للمطالبة بفتح مدرسة لتعليم الكبار للنساء في العمران. هذه بعض من أنشطة أبي مسلم الكثيرة لصالح مجتمعه.

وقد نوه أبومسلم بدور البنك الأهلي ممثلا بإدارته, يقول:

ولا أنسى الوقفة الإنسانية لإدارة البنك, وفن التعامل الإيجابي مع حالتي وظروفي. وما نتج عنها من الدعم المادي الكبير, ومن ضمنها التزامهم بتكاليف العلاج كاملة, وإسقاط قرض السكن والذي يفوق النصف مليون ريال. فجزاهم ا عني خير الجزاء"

في الختام ....

إن استعراض حياة الأخ الفاضل عقيل الحبابي (حفظه ا), هي استعراض لتجربة إنسانية غنية, تحمل في طياتها الكثير من الدروس والعبر. وما أبهرني وشدني لهذا الرجل وتجربته, إصراره على أن يستعيد زمام حياته ويعيشها. فلم يستطع المرض كسر إرادته, أو تردعه الإعاقة عن أداء دوره في الحياة. ولدى هذا الرجل الشجاعة الأدبية على رواية واقعية للجميع. وهو يعمل لوضع كتاب يروي فيه فصول حياته وتجاربه في هذه الحياة. وهو مؤشر لحب الخير للناس ونفعه. كانت تلك قصة عقيل الحبابي, نتيجة عدة لقاءات معه, منها اللقاء الأخير بمنزله بتاريخ 25/12/1432 هـ, وبحضور الأخ الفاضل السيد محمدحسن بن السيد محمد الحداد, وابن العم موسى بن محمد موسى البحراني. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وسلم, والحمد رب العالمين.